في محاضرة حول إسهامات المفكر العربي الراحل إدوارد سعيد

د. بيتر مانيج: واجب الجزيرة تكريس الريادة القطرية في صناعة الرأي العام

جامعة قطر

قناة الجزيرة

الإعلام الغربي متهم بالتحيز ضد القضايا العربية ويجب منافسته

ادوارد سعيد

أيمن صقر

دعا الأستاذ الدكتور بيتر مانيج أستاذ الاتصالات الزائر بجامعة قطر لخريف 2009 ومؤلف كتاب "الولايات المتحدة وهؤلاء: المسلمون والإعلام والشرق الوسط" راندم هاوس 2006 إلى الاهتمام بتراث الكاتب والمفكر العربي الراحل إدوارد سعيد

وقال في محاضرة ألقاها بمناسبة مرور ست سنوات على رحيل المفكر العربي الكبير إنه "يصعب علينا أن نصدق بأنه مر على رحيل إدوارد سعيد أكثر من ست سنوات الآن لقد كان ذلك الرجل مصدر إلهام ومنبعا لا ينضب للأفكار الجديدة، لقد رحل ولا يوجد من بعده إلا الصمت ولم نعد نرى تلك النظرة الثاقبة ولا الدعوة الجادة ولا حتى العبارات الرنانة.

وقال إنه يستشعر في كثير من الأحيان كم خسر الفلسطينيون على مدى الأعوام الستة الماضية مفكرهم العبقري الذي يدافع عن قضيتهم.. زعيمهم التقليدي ياسر عرفات الذي حمل البندقية في يد وغصن الزيتون في اليد الأخرى، شاعرهم الفذ محمود درويش الذي نطق باسم الشعب.لذلك كله، يملأ الصمت المكان!.

وقال الدكتور بيتر في تأبينه الأدبي للمفكر الكبير إدوارد: "لم يكن إدوارد سعيد ذلك الأكاديمي المتميز في جامعة كولومبيا وحسب بل كان ما يشبه نجم موسيقى "بوب" عالمي مما جعل مجلة "تايم" تدرج اسمه في قائمة أكثر الشخصيات المؤثرة في القرن العشرين.

وقد شكلت حياته الأكاديمية وغزارة إنتاجه من كتب وأبحاث ومؤلفات ومحاضرات في المؤتمرات الأساس لحياة كاملة لمفكر يعرفه الجميع كتب في العديد من الصحف المرموقة في العالم وظهر في عشرات اللقاءات والمقابلات الإذاعية والمتلفزة والحوارات العامة والمفتوحة حتى أواخر أيام حياته والأهم من هذا وذاك،عاش حياته مناصرا لفلسطين محبا للموسيقى الجميلة خصوصا (الأوبرا) وأشرف على عشرات الطلبة الفلسطينيين والأمريكيين والعرب والبريطانيين.

وقال إن اهتمامه كباحث لا ينصب على شهرة إدوارد سعيد التي لا تقل اتساعا أو انتشارا عن شهرة نجم موسيقى البوب ولا على غزارة إنتاجه وإنما مساهماته في التحليل الإعلامي وهو ما يشكل شريحة بسيطة من إنتاجه الفكري. وقد بدأت جذور تلك المساهمات التحليلية بكتابه المشهور "الاستشراق" عام 1987. وأضاف" لقد أيقظ ذلك الكتاب جيلا كاملا من المفكرين والعلماء الأوروبيين نحو نظرية إدوارد سعيد التي تقول إن هناك عنصرية دفينة ومتأصلة في الطريقة التي يتم فيها تصوير الشرق أو"المشرق" في المؤلفات والثقافة الفكرية الغربية، سواء كانت شعرية أو مسرحية أو سينمائية أو أوبرا أو صحف أو تلفزيون.

وأشار إلى أنه ليس بصدد وصف كل الأدبيات ولكنه فقط يريد سرد ثلاث نقاط رئيسية حول الإعلام الجماهيري. وهي رأى سعيد بأن الإستشراق بنيوي وليس فرديا يتوشح بوجود خوف منطقي في الأساس تعلوه سلسلة من الخرافات والأوهام المتعددة على السطح وانه بنى ذلك استنادا على فلسفة طبيعة الوجود وقد كان ذلك التوجه بمثابة صناعة تنمو وتصاحب كل جيل وإن الرحلة أو الغاية النهائية لسيطرة المستشرقين الغربيين هي أن يكونوا في موقع يمكنهم من تعريف من هم تحت سيطرتهم (سواء كانوا عربا أو مسلمين أو هنودا) كيف كانوا في أفضل عصورهم في الماضي وكيف يجب أن يكونوا مرة أخرى.

وعليه تمكن الغرب من تصوير المصريين والهنود على أنهم يعيشون في ثقافة متقطعة الأوصال وأن المستعمرين والحكام البريطانيين فقط هم القادرون على تحديد الأخطاء التي وقعوا فيها وكيف يمكن لهم استعادة مجدهم الماضي.

وأشار الى أن المستعمرين فهموا ما معنى أن تكون "مصريا" أو"هنديا" بشكل أفضل مما تفهمه أنت وهذا هو ما كان يطلق عليه "ما بعد الاستعمار" لقد رحلت الجيوش البريطانية عن مصر على سبيل المثال، ولكن بقيت لندن من الناحية الفكرية هي أفضل من يخبرك عن ماضيك، وكذلك عن مستقبلك أيضا.

وتحدث المحاضر عن جملة أمور ضرورية منها يجب على قناة الجزيرة الناطقة باللغة الإنجليزية وهي النموذج المتميز التي أخذت على عاتقها تغيير النص الإعلامي لأنها تختلف في تغطيتها الإخبارية عن شبكة سي إن إن (CNN) وشبكة بي بي أس (BBS) وغيرها، أن تحافظ على هذا التميز والاختلاف. وحيث إنني كنت مدير أخبار أدرك أن طبيعة المشاهدين قادرة على تغيير نهج أو برامج أية محطة تلفزة حتى ولو كانت قناة عامة مملوكة للدولة.

واعرب عن اعتقاده بأن قناة الجزيرة الإنجليزية ما زالت عربية في طبيعتها وبما أنها تدخل كندا والولايات المتحدة وأستراليا وبريطانيا، يجب عليها أن تقاوم الضغوط التي تطلب منها تهدئة أو تخفيف نغمة خطابها الإعلامي. ومن الأمثلة على ذلك، التغطية الإخبارية الممتازة التي قامت بها الجزيرة في الحرب على غزة مؤخرا ومثل هذه التغطية تحدث صرخة في الولايات المتحدة وأستراليا وكندا، كما انها تشكل فائدة يجب استغلالها بدلا من النظر إليها كمشكلة يجب تحاشيها من خلال تخفيف حدة التغطية الإعلامية. كما يمكن لوكالة الأنباء القطرية أن تتولى المهمة ليس فقط من خلال التنسيق مع وكالات الأنباء العربية وحسب ولكن اقتراح إنشاء بديل حقيقي لشبكة رويترز ووكالة الأنباء الفرنسية، والأسوشيتدبرس، وبمعنى آخر، أن تقوم دول الخليج العربية بتمويل وكالة أنباء شرق أوسطية جديدة لا تقدم أخبارا من منطقتها - الشرق الأوسط - وحسب بل من العالم أجمع، ويمكن أن يكون لهذه الوكالة مراسلون حول العالم كواحدة من أكبر وكالات الأنباء العالمية تقدم رأيا عربيا للصحف والإذاعات ومحطات التلفزة العربية في كل المنطقة حول ما يجري في العالم من أحداث. وقال "بما أن مؤسسة قطر وجامعة قطر تقومان بنشر الكثير من أوراق البحث والمجلات والدوريات والكتب، فلم لا تجني مطبعة جامعة قطر الوطنية المنفعة بدلا من مطبعة جامعة مينيزوتا ويمكن أن تقوم الجامعة بطبع كافة الكتب باللغتين العربية والانجليزية أو العربية والفرنسية أو حسب الحالة ولكن دائما باللغة العربية وبذلك ستجني شهرة واسعة في مجال الطباعة والنشر النوعي بالشكل الذي يجعل مفكري وعلماء المنطقة والعالم - خصوصا المنحدرين من أصول عربية ويعيشون في بلاد أجنبية ممن يعانون من أجل إسماع صوتهم للآخرين - يرغبون برؤية إنتاجهم العلمي يطبع وينشر من قبل مطبعة جامعة قطر. وهنا يظهر الاستقلال الفكري مرة أخرى.

واكد ان المبنى الرئيسي القادم، التحفة الفنية العظيمة القادمة في الدوحة يجب أن تكون مكتبة وطنية رائعة - تنافس مكتبة بيبليوتيكا الإسكندرية، ويمكن لمثل هذه المكتبة احتضان التقليد الإسلامي العظيم في كتابة الكتب والخط العربي ويمكن أن تضم كل ما يكتب أوينشر عن العالمين العربي والإسلامي ويكون استخدامها مفتوحا لكل من يسكن أو يعمل بدولة قطر بغض النظر عن الجنسية والجنس والدين.

وبالطبع، مثلها مثل أية مكتبة عصرية حديثة، يجب أن تضم مصادر إليكترونية وقد تكون منهلا للمعلومات، بالإضافة إلى كونها مكتبة تضم الكثير من الكتب. وهذا يعني أنه يمكن استخدامها من أية بقعة في العالم وتقدم معلومات دقيقة، ودراسات تحليلية عن العالم العربي. وفي ختام محاضرته قال إن مثل هذه المبادرات والمشاريع سترضي إدوارد سعيد وتجعله فخورا بجامعة قطر. تجدر الإشارة إلى أن المحاضر عمل في السابق صحفيا ومقدم أخبار في أستراليا ومحاضر أول لمقرر الصحافة بجامعة موناش - ملبورن.